

## الجوانب التربوية في فكر مالك بن نبي

مسلم عبدالقادر أحمد مضوي

جامعة الجزيرة - كلية التربية الحاصحيا

### المستخلص

هدفت الدراسة إلى التعرف على بعض الجوانب التربوية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في فكر العالم الجزائري مالك بن نبي، واستخدم الباحث المنهج التاريخي للتعرف على العوامل التي شكلت فكره بصورة عامة والجوانب التربوية في حياته بصورة خاصة، والوصفي لتحليل مضمون ما احتوته بعض أقواله في الكتب والمقالات والمحاضرات وأوراق العمل من جوانب تربوية، وتوصلت الدراسة إلى نتائج عدة من أهمها: إمتلاك مالك بن نبي لفكر تربوي واضح المعالم من الممكن تطبيقه في المجتمعات الإسلامية في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتأكيد ذلك على الصلة القوية التي تجمع بين الدين والمجتمع، على اعتبار أن الدين هو المحرك الرئيس للفكر التربوي، وتقديمه لبرنامج عمل تربوي محدد وفق مقترحات يمكن تطبيقها.

### Abstract

The study aimed to identify some of the educational, social, economic and political aspects of the Algerian, Malik bin Nabi. Two methods were used: historical aspects to identify the factors that formed his thought in general and the educational aspects of his life in general and descriptive analysis of the contents of some of his statements in books and articles lectures and working papers in educational aspects. The study reached several results, the most important of which are: Malik bin Nabi's possession of a well-defined educational thought that can be applied in Islamic societies in the social, economic and political aspects, as well as the strong link between the Religion and society, to consider that religion is the main motivation for educational thought and to submit it to a specific educational work program according to proposals that can be applied.

### مقدمة

إن الرجوع للجوانب التربوية التي يحتوي عليها الفكر التربوي الإسلامي في مختلف العصور وتطبيق ما دعا إليه يمثل خط الدفاع الأول في مواجهة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، وتقديم نموذج إسلامي تقتدي به شعوب العالم قاطبة، والتي تبحث الآن عن المخرج فيما أدخلتها فيه مناهجها التربوية من تخلف واضطراب نفسي، ترتب عليه تفشي الجريمة والأمراض الفتاكة بكافة أنواعها. فالتربية في العالم الإسلامي ما زالت تعتمد بصورة أساسية على ما أنتجه الفكر التربوي الغربي، الأمر الذي أدى إلى فقد الأمة الإسلامية لهويتها مما ترتب عليه قعودها عن أداء دورها الحضاري. من هذا الفكر التربوي الذي يحتاج إلى بيان جوانبه التربوية فكر العالم الجزائري مالك بن نبي، إذ إنه يمثل واحداً من علماء تلك الحقبة المهمة في تاريخ الأمة الإسلامية وهي حقبة الاستعمار، حيث أن لهذا العالم مؤلفات عديدة احتوت على جوانب تربوية فريدة تصلح - حسب رأي الباحث - للتطبيق في مجال التربية والتعليم في الوقت الراهن. لم يدرس ما خلفه مالك بن نبي من أقوال بثها في كتبه ومذكراته ومقالاته ومحاضراته دراسة كافية من ناحية تربوية علي الرغم من إسهاماته الفكرية الواضحة ورؤيته الثاقبة وتشخيصه لعلل وأمراض المجتمع الإسلامي بصورة عامة ونظمه التربوية والتعليمية بصفة خاصة، عليه يمكن أن تصاغ مشكلة البحث في السؤال الرئيس التالي: ما الجوانب التربوية التي احتوت عليها حياة مالك بن نبي؟ هدفت الدراسة إلى التعرف على الجوانب التربوية في حياة مالك بن نبي بصورة عامة. الاستفادة من فكر مالك بن نبي في تأصيل الفكر التربوي المعاصر. وتوجيه أنظار الباحثين في مجال التربية والتعليم إلى الاهتمام

بالتراث التربوي الإسلامي في مراحل المختلفة خاصة في مرحلة الإستعمار لبيان أصالة وتفوق هذا الفكر التربوي الإسلامي علي الأفكار التربوية الأخرى . تتبع أهمية الدراسة من إسهام الدراسة في دحض الإفتراءات التي تدعي أنه ليس في استطاعة المسلمين قديماً وحديثاً إنتاج فكر تربوي خالص يناسب معتقداتهم وطرق حياة مجتمعاتهم. استخدمت الدراسة المنهج التاريخي وذلك لتتبع حياة مالك بن نبي والعوامل التي أثرت فيها. و المنهج الوصفي وذلك من خلال تحليل مضمون بعض أقوال مالك بن نبي لاستخلاص الجوانب التربوية فيها .

### الدراسات السابقة

أسعد الحمداني (1984م) هدفت هذه الدراسة إلى عرض المشروع الإصلاحي لمالك بن نبي المتمثل في موقفه من الاتجاهات الإصلاحية في العالم الإسلامي واستخدم فيها المنهج الوصفي ومن أهم نتائجها: لم يلق مالك بن نبي الاهتمام الكافي من الدارسين، وأسّس مالك بن نبي مشروعه الإصلاحي من خلال فكره المتميز .

دراسة زينب أحمد مكارم (1986م) بعنوان: المصادر الدينية الفلسفية في موقف مالك بن نبي من فلسفة الحضارة. هدفت هذه الدراسة إلى تناول وعرض لأراء المفكر الإسلامي مالك بن نبي ومن أهم نتائجها: تأثر مالك بن نبي بالعلامة ابن خلدون. تأثر مالك بن نبي بحياة الغرب في تكوينه العلمي والمنهجي .

زكي ميلاد (1988م): هدفت الدراسة إلى: معرفة خلفية المكونات التربوية والثقافية لعقليته ومنهجه، معرفة مرتكزات النظرية التربوية عند مالك بن نبي، وتوصلت الدراسة إلى نتائج منها: تجاوز مالك بن نبي من خلال فكره الحدود القطرية لينظر إلى العالم الإسلامي ككل، وأشار مالك بن نبي إلى أن أزمة الخطاب والفكر الإسلاميين المعاصرين هو الحس الطائفي الذي يصدر من كثير من المفكرين والمصلحين الإسلاميين، وتقدير أولوية العمل الفكري علي العمل المهني لاتصاله بمستقبل الأمة ومصيرها الحضاري . سليمان عبد الدائم الخطيب (1988م): هدفت الدراسة إلى التعرف علي فكر مالك بن نبي، وإلقاء الضوء علي الحضارة التي يعتبرها مالك بن نبي أهم المشكلات التي ينبغي أن تثار علي صعيد الممارسة الإسلامية المعاصرة، وتوضيح مكمّن الداء عند الفرد المسلم الذي يستسلم لأساليب القدر الاستعماري والثقافي وقابليته للاستعمار، والكشف عن القوانين التي تستوعب منحنيات التقدم والسقوط في المسار الإسلامي الحضاري، ومن أهم نتائجها: الإسلام وحده هو الذي يمكن أن يعيد المسلمين إلى عالم الحضارة والخلافة المبدعة. إن تمسك المسلم بتعاليم ومبادئ القرآن جعلته يشيد أعظم حضارة عرفها التاريخ.

علي حسن القرشي (1988م): هدفت الدراسة إلى محاولة إبراز فكر مالك بن نبي، وإثبات ضرورة أن يكون التنظيم السيسولوجي في المجتمع العربي قائماً علي خصوصية وحاجات هذا المجتمع، وعرض أفكار مالك بن نبي وتصورات التربوية التي يطرحها كأساس لبناء الشخصيات والتغيير والثقافة، ومن أهم نتائج الدراسة: إن أفكار مالك بن نبي التربوية ذات مضامين وموجهات تنطوي علي قيم وحركات حية وهي من الضرورات الأساسية والعملية لأي عمل بنائي عام، وإن أول مهام التربية أن تستهدف رقي الإنسان أخلاقياً ومعنوياً وإنسانياً بغض النظر عن ربط ذلك بأهداف وأمنيات معاشية ومادية.

لخضر شايب (1988م): هدفت الدراسة إلى عرض الأفكار الرئيسة التي تبناها المفكر الإسلامي مالك بن نبي في إنتاجه الفكري، والتعرف علي أفكار مالك بن نبي عن الحضارة وتاريخها وعناصر قوتها وعوامل انحطاطها وتطبيق نظرية الفكر علي الحضارة الإسلامية. من أهم نتائج الدراسة: ظاهرة الحضارة ظاهرة شاملة تتعلق بتاريخها وواقعها وإقامة مستقبلها، وكل الأبحاث والنظريات التي توصل إليها مالك بن نبي عن الحضارة هي ثمرة متابعته التاريخية عن الحضارة الإسلامية، وارتباط المفكر مالك بن نبي ارتباطاً شديداً بالواقع الإسلامي الحديث.

التجاني مُجد إبراهيم(2008م) هدفت الدراسة إلى التعرف علي فكر مالك بن نبي، وتحليل المفاهيم التربوية التي حوّاها فكر مالك بن نبي، وإبراز معالم الفلسفة التربوية لفكر مالك بن نبي التربوي، ومن أهم نتائجها: إن للمجتمع دوراً مهماً في التغيير وذلك بتبصير الأفراد والجماعات بدورهم في إصلاح أنفسهم وتغلبهم على المشكلات التي تواجههم مسيرة حياتهم، ولا يتم التغيير إلا في ظل العقيدة الدينية التي يؤمن بها الفرد المؤمن في المجتمع المعين، وإن سبب انحطاط المسلمين هو إغفالهم للمنطقة الاجتماعية والتركيز على البعد السياسي، وتعد التربية من العوامل التي تحقق القوة السياسية في المجتمع والدولة، والفكرة الدينية هي التي تفجر الطاقات الاقتصادية الكامنة للشخص المؤمن وتوجهه هذه الطاقات إلى بناء المجتمع.

### سيرته الشخصية

هو مالك بن الحاج عمر بن الحضرمي بن مصطفى بن نبي ولد بمدينة تبسة التابعة لولاية قسنطينة بالجزائر، في يناير عام ألف وتسعمائة وخمسة للميلاد من عائلة محافظة فقيرة، ومن المهدي تلقى رعاية تربوية من والديه والذنان حرصاً على رعايته وتربيته خوفاً من تلوثات المستعمر وخاصة إن العائلة ملتزمة بالتقاليد الدينية (ميلاد 1998: 27). وعبر مالك بن نبي عن تلك السنوات التي عاش فيها طفولته في الجزائر في مذكراته التي كتبها لاحقاً واصفاً فيها الظروف العسيرة التي تربي فيها (بقي والدي ردياً من الزمن في تبسة دون مورد يعيش منه ودون عمل، لقد كانت هذه الفترة من حياة عائلتي شديدة العسر، إذ مات عمي الأكبر في قسنطينة، وكان قد تبناني منذ أمد بعيد مما جعل زوجه تعيدني إلى أهلي في تبسة، على الرغم مما خلف ذلك من أسى في نفسها وفي نفسي، لقد فعلت ذلك لأن مواردها لم تعد تسمح لها بإعالي، ولا أزال في هذا الوسط الجديد من عائلة مفرطة في الفقر أخذت أعرف على جدتي لأمي وسمعت الكثير عن أفاصيها وحكاياتها التي كانت محور العمل الصالح وما يليه من ثواب، وعمل السوء وما يليه من عقاب، وكانت هذه الأفاصيص الورعة تعمل على تكويني دون أن أدري، وإحدى حكاياتها عن الإحسان جعلتني وأنا ابن السادسة أو السابعة من عمري أقوم بعمل ربما كان على ما أعتقد أسمي ما قمت به في حياتي). (Islamstory.com 7/1/2017). يؤكد مالك بن نبي أنه مدين لجدته إذ كان لها الأثر الواضح في صياغة شخصيته منذ الصغر (في ظهيرة يوم الجمعة أخذت نصيبي من الرفيس وهي حلوى تبسية تصنع من الطحين والسكر والتمر والزيت أخذت أفضمه بنهم ولذة، و فجأة سمعت بباب الدار سائلاً ينادي: (أعطوني من مال الله)، ولم أكن عندها أكلت أكثر من نصفها، ومع ذلك بادرت بإعطائها له عندما تذكرت واحدة من حكايات جدتي عن الإحسان وثوابه). (darfikr.com 10/1/2017). ويبين مالك بن نبي هذا التأثير الكبير لجدته في مدة حياته مرة أخرى بقوله: (بعد ربع قرن ومن هذا الحادث (الرجل الفقير) وكننت قد أصبحت رجلاً، وأخذت أدرك إلى أي مدى كنت مدين لتلك الجدة العجوز، وعندما كنت طالباً في باريس قمت ذات يوم مع بعض رفقائي في الكلية بعملية استبطان، وكان على كل منا أن يجيب على السؤال التالي: ما هو أهم حدث في حياتك ولمن تنسبه؟ لقد أحيا هذا السؤال في نفسي ذكريات قديمة). (darfikr.com 10/1/2017). يوضح مالك بن نبي أنّ أمه تعبت في حياتها كثيراً لتوفر له العيش الكريم مع حرصها الأكبر على تعليمه (غير أنّ أمي كانت تحول ذلك (الجوع) بممارستها للخياطة وبالتالي فهي التي كانت تمسك بكيس النقود الذي كان دائماً فارغاً ولا أزال أفكر أنها كيف اضطرت ذات يوم أن تدفع لمعلم القرآن الذي يتولى تدريسي بدل المال سريها الخاص، وموارد العائلة كانت هزيلة إلا أننا كنا نحصل على قوتنا بفضل حسن تدبير أمي وانكبابها اللبالي الطوال على عملها، ولكن أمي في إدارتها لشؤون العائلة كانت تعرف أن ما يحصل عليه أطفالها من غذاء غير كاف، فكانت تسد النقص بعمل إضافي أيام الجمع). (ميلاد 1998: 78). يلاحظ مما قاله مالك بن نبي حالة الفقر والحرمات التي عاشها المجتمع الجزائري في ذلك الوقت تحت ظل الاستعمار الفرنسي، لكن هذا لم يمنع أسرته وخاصة جدته من غرس القيم الإسلامية في نفسه الأمر الذي كان واضحاً في فكره ومضمونه التربوي (فجدته لعبت دور المرابي الأول الذي صاغ رؤياه الأولية

نحو القيم الأخلاقية، كما أن إدخاله الكتاب لتعليم القرآن، وضع في تكوينه شعوراً دينياً معيناً بالإضافة إلى أن الوسط الجزائري العام هو وسط محافظ يحرص على أداء شعائره، فكان أن اعتاد مالك بن نبي على المسجد منذ وقت مبكر من حياته، بجانب هذا كانت انعكاسات الواقع المروية والمشاهدة تملأ وجدانه بأحاسيس مريرة حيث كانت جدته تحذره عن أمه وكيف غادرت مدينتها يوم أن دخلها المستعمر وكيف اضطرت أهلها إلى الهجرة إلى تونس وما صاحب ذلك من ترويع، بالإضافة إلى ما كان يسمع ويشاهد وهو في سن السادسة أو السابعة حال بعض أسرته وهم يهاجرون نحو طرابلس الغرب ضمن موجة الهجرة التي اكتسحت مدينة قسنطينة وتلمسان كتعبير عن رفض المساكنة مع المستعمر). (القرشي 1988: ٤٧). يصف مالك بن نبي الحال التي كان عليها وضع مدينته حين دخلها المستعمر الفرنسي بقوله (لم يعد لعائلات المدينة سوى هم إنقاذ شرف أعراضهن، فيما كان الفرنسيون يدخلون المدينة كانت صبايا المدينة يسرعن أبواهن إلى الجهة الأخرى، فكان على جدتي أن تقدم غربانا علي مذبح وطن ينهار إنقاداً لشرف عائلة مسلمة). (ahlalhadeeth.com 10/1/2017). من العوامل التي أثرت في تكوين شخصية مالك بن نبي الاستماع في أيام السوق إلى القصص والحكايات (واستمع إلى الحكواتي يقص بطولات علي ﷺ في الساحة قرب باب الحديد، ويروي القصاصون حكايات ألف ليلة وليلة، وسيرة بني هلال، ونستمع إلى دروس الإمام بعد صلاة العشاء، وبالطبع فإن مداركي تنمو متأثرة بمذنب التيارين). (ميلاد ١٩٨٩ : ٧٩). ومن الشخصيات التي كان لها دور كبير في صياغة مالك بن نبي الشيخ عبد الحميد بن باديس (١٨٨٩-١٩٤٠م)، (كان منظر الشيخ بن باديس عند مروره أمام مقهى بن يمنة في طريقة إلى مكتبه قد بدأ يثير اهتمامنا فكثير من آرائنا وأفكارنا تتصل بشخصيته أكثر من اتصالها بالشيخ أبو موهوب الذي كان أول من زرعه في نفوسنا). (القرشي ١٩٨٨ : ٤٨). لذلك يذهب كثير من الباحثين إلى أن دعوة مالك بن نبي لإصلاح المجتمع الجزائري هي امتداد طبيعي لما نادي به الشيخ عبد الحميد بن باديس. وكذلك من العلماء الذين أثروا في فكر مالك بن نبي، ابن تيمية الذي يرجع إليه الفضل في ظهور المدرسية الفلسفية التي سارت على طريق الإمام أحمد بن حنبل، والتي تدعو إلى تطهير العقائد من الخرافات والبدع، وتنادى بالتوحيد وعدم الشرك بالله، ووضح هذا التأثير بإتباعه للمنهج الإصلاحية الذي نادى به الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية، وقد حاول مالك بن نبي السفر إلى المملكة العربية السعودية من باريس لكن السلطات الفرنسية أصبحت حائلاً دون تحقيق هذه الرغبة، وعاد مالك بن نبي من مصر إلى الجزائر عام 1963م أي بعد استقلال الجزائر من الاستعمار الفرنسي بعام واحد، وعمل في مجال التربية والتعليم حيث عين مستشاراً للتعليم العالي ثم مديراً لجامعة الجزائر، وبعده وزيراً للتعليم العالي، واستقال من هذا التكليف في عام 1967م وتفرغ للعمل الدعوى والفكري، حيث كانت له ندوة أسبوعية بمنزله يقصدها العلماء وخاصة الشباب. أظهر مالك بن نبي حباً للقراءة والاطلاع والنقاش عند دخوله للمرحلة الثانوية والتي أقام فيها في بيت عمه محمود حيث لاحظت زوجه التفوق والنبوغ الذي أظهره ابن نبي مقارنة بأقرانه عندما كانت تخاطب زوجها: (ألا ترى ابن أخيك يتحدث جيداً بالقياس إلى من هم في سنه). (Islamstory 7/1/2017). ثم انتقل مالك بن نبي إلى السكن الداخلي بعد نجاحه وتفوقه في الامتحانات وبدأت شخصيته تتضح بصورة أكبر من خلال الحوارات والمناقشات في المواضيع العلمية والدينية (كنا نتردد على بعض البعثات التبشيرية الإنجليزية لنناقش بعض الموضوعات مثل ألوهية المسيح، وكان يشاركني طالب في الشريعة حفظ القرآن، ثم اعتنق فيما بعد البروتستانتية علي يد امرأة إنجليزية، وهنالك تعرفت على بعض تلاميذ الشيخ بن باديس الذين جاءوا يدافعون عن الإسلام، لقد شعرت بأني وهؤلاء في اتجاه فكري واحد، وهذا ما لم أشعر به مع من كنت أعاشرهم من طلبة المدارس الثانوية المسلمين، كأنما اسم الشيخ بدأ يتردد في المدينة). (ميلاد ١٩٨٩ : ٥١). في عام 1925م قرر مالك بن نبي السفر مع أحد أصدقائه إلى فرنسا للعمل ولكنه عاد بعد فترة قصيرة إلى بلده تبسة، فعمل موظفاً وتاجراً لمدة خمس سنوات، حيث لم يحالفه التوفيق في ذلك، ثم عزم للسفر إلى فرنسا مرة أخرى وهو أكثر تصميماً إلى أن لا يعود

مرة أخرى لبلده إلا وهو يحمل شهادة المحاماة طمعاً في تحقيق رغبة أسرته، ولكنه لم يجتاز امتحان الدخول للمعهد رغم قناعته بأنه بذل جهداً كبيراً لاجتياز هذا الامتحان، وأرجع السبب في ذلك لكون الأمر لا يعدو أن يكون قد خضع لمقياس سياسي، ولكنه لم ييأس وإنما وجد فرصته في الدراسة بالانتساب في مدرسة اللاسلكي، إلى جانب اهتمامه بدراسة علم الاجتماع وعلم مقارنة الأديان والفلسفة والفنون والكيمياء والرياضيات (كنت أريد أن أفهم كل شيء، الجبر والهندسة والكهرباء والميكانيكا وانطلقت بحركتي إيمان الوارد إلى دين جديد فانكببت على تحصيل العلم بلهفة من يرى كل ما في وطنه وفي المجتمع الإسلامي من جهل، ومن أصناف الانحطاط). (ahlalhadeeth.com 10/1/2017). تزوج مالك بن بني من امرأة فرنسية مسلمة اسمها خديجة وسكن بالحي اللاتيني حيث سكن معظم العرب والأفارقة الوافدين من بلاد المغرب العربي واستطاع التعرف على كثير من الطلاب من بلاد المغرب العربي وأخذ يمارس عمليات التوعية الفكرية والسياسية حتى لقب (زعيم الوحدة المغربية) إلى جانب مساهمته في توزيع المنشورات المناهضة للاستعمار، ومن بعد تواصل مع عدد من أبناء الجاليات الأخرى . تعتبر محاضراته بعنوان ( لماذا نحن مسلمون ) التي ألقاها أمام الطلاب المسلمين بباريس في عام 1931م أكبر نقطة تحول في حياة مالك بن بني، وأظهر فيها براعته في الإقناع، وكان من نتائج هذه المحاضرة أن لاحقته الأجهزة الأمنية وتم التضييق على والده بالجزائر إلى أن تخرج مالك بن بني مهندساً كهربائياً عام 1935م، ولم يجد أي فرصة للعمل بسبب رصد المستعمر لحركاته وملاحقته بصورة مستمرة، وتم توقيفه من العمل عندما عمل مع أحد أصدقائه في مجال الأطفال بحجة أنه لا يحمل أي مؤهل تربوي . عاد مالك بن بني إلى الجزائر لكنه لم يكتف فيها إلا قليلاً حيث رجع إلى فرنسا مرة ثانية في عام 1939م، فعمل في جريدة الليموند واستطاع أن يتصل بكثير من المفكرين والمستشرقين، واستطاع من خلال كتاباته ومناقشاته أن يجذب إلى فكره كثير من العلماء الفرنسيين (حتى وُصف كتابه الظاهرة القرآنية الذي طبع في باريس عام 1947م، أنه أوقد شرارة في أعماق الفكر الأوربي وفتح نافذة أطل من خلالها العديد من المثقفين والقراء الفرنسيين على القرآن والإسلام، منهم الدكتور سليمان بنوا الذي أسلم معترفاً بأنه مدين بالشئ الكثير لكتاب مالك بن نبي الظاهرة القرآنية. (القريشي 1988: ١٢٧) . ثم سافر مالك بن نبي إلى القاهرة في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي والتي اختارها لما تمثله من مركز ثقل لحركات التحرر والعروبة، حيث استطاع فيها أن يتصل بقيادة الفكر والثقافة في العالم العربي والعالم الإسلامي، وقدم محاضرات كثيرة في الجامعات والأندية الثقافية، إلى جانب إتقانه للغة العربية وأصبح منزله محطة يؤمها أهل الثقافة والفكر (كانت إقامته في القاهرة فرصة عظيمة حيث أتقن اللغة العربية، وتعرّف على الكثير من رجال العلم والثقافة فيها، واختير في هذه الفترة مستشاراً للمؤتمر الإسلامي بالقاهرة وشارك في العديد من المؤتمرات، بالإضافة إلى مشاركته في مجمع البحوث الإسلامية، وكانت مرحلته بالقاهرة بمثابة تقديمه إلى العالم العربي الإسلامي (الخطيب 1988: ٩٧). من أهم مؤلفات مالك بن نبي كتاب الظاهرة القرآنية، المسلم في عالم الاقتصاد، شروط النهضة، وجهة العالم الإسلامي، فكرة الإفريقية الآسيوية، آفاق جزائرية، بين الرشاد والتهيه، حديث في البناء الجديد، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، في مهبط الريح، مذكرات شاهد القرن، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مشكلة الثقافة، النجدة، تأملات، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث إضافة إلى الكثير من المقالات التي نشرت في الصحف والمجلات.

#### الجوانب التربوية الاجتماعية

اهتم الإسلام بالتربية الاجتماعية لأن الإنسان اجتماعي بطبعه، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ٥ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)). (الحجرات، ١٣). يعرف مالك بن نبي المجتمع بأنه (الجماعة التي تتغير دائماً خصائصها الاجتماعية بإنتاج وسائل التغيير مع علمها بالهدف الذي تسعى إليه من هذا التغيير، وهذا المجتمع يمثل تجمع أفراد ذوى عادات متحدة ويعيشون في ظل قوانين واحدة، ولهم فيها مصالح مشتركة). (ابن نبي 1987:

(٨٧). واهتم مالك بن نبي في معظم مؤلفاته وكتاباتاته بالمجتمع ومشكلاته، فهو يرى أن حل هذه المشكلات في أي مجتمع يكون في ذات المجتمع الذي لا يكون صرحه إلا إذا عاد إلى حضارته، والدليل على اهتمامه بالمجتمع ومشكلاته أن اختار لكل إنتاجه الفكري عنواناً كبيراً تصدر كل أسماء مؤلفاته وهو "مشكلات الحضارة". إن مشكلة المجتمع المسلم في نظر مالك بن نبي هي مشكلة حضارة عند وحلها يكمن بدعوة المجتمع المسلم للنهوض بمهمة الإصلاح الاجتماعي، وهو لا يتم إلا بتطبيق الإسلام، ويستدل على ذلك بقوله تعالى: (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَأَكُمُ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (هود: 88). والتغيير في المجتمع يبدأ بتبصير الأفراد والجماعات بدورهم في إصلاح أنفسهم وتغلبهم على المشاكل التي تواجه مسيرة حياتهم، ويرى مالك بن نبي أن وسيلة التغيير الذي يجب أن تسعى إليه الجماعة، هو زيادة الوعي ونشر التعليم والقضاء على العادات والتقاليد الضارة والصراعات القبلية والطائفية وإثارة التفرقة العنصرية وتعليم الناس أمور دينهم، والتمسك بالأخلاق الفاضلة والقيم السمحاء، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ). (الرعد: ١١). فالضمير في الفعل "يغيروا" يعود إلى الجماعة نفسها في رأيه وهي التي تحمل مفتاح الحل نحو الإصلاح والتنمية والتطوير (إنَّ تطور الجماعة يؤدي بها إما إلى شكل راقٍ من أشكال الحياة الاجتماعية وإما أن يسوقها على عكس ذلك إلى وضع مختلف). (ابن نبي 1987: ٩٠). والجماعة في فكر مالك بن نبي هي المسؤولة عن التغيير (تكسب الجماعة صفة المجتمع عندما تشرع في الحركة أي عندما تبدأ في تغيير نفسها من أجل الوصول إلى غاياتها وهذا يتفق من الوجهة التاريخية مع لحظة انبثاق حضارة معينة). (ابن نبي 1987: ١٠٢). وفي اهتمامه بالفرد الذي يمثل لبنة الحضارة في المجتمع يقول مالك بن نبي: (الشخص في ذاته ليس مجرد فرد يكوّن النوع، وإنما هو الكائن المعقد الذي ينتج حضارة، وهذا الكائن في ذاته نتاج الحضارة إذ هو يدين لها بكل ما يملك من أفكار وأشياء). (ابن نبي 1987: ١٠٦). وعلى الرغم من أنّ الحضارة عنده تنتج من تفاعل ثلاثة عناصر هي الإنسان والتراب والوقت، إلا أن توفر هذه العناصر واجتماعها لا يحقق النتيجة إلا إذا توفر عامل مساعد وهو الدين، ويضرب بذلك مثلاً بقوله: (الماء في الحقيقة نتاج للهيدروجين والأكسجين، وبالرغم هذا فهما لا يكونانه تلقائياً، لأن تركيب الماء يخضع لقانون معين، يقتضي تدخل مركب ما وبدونه لا تتم عملية تكوين الماء، وبالمثل لنا الحق في أن نقول إن هناك مركباً يطلق عليه مركب الحضارة، أي العامل الذي يؤثر في مزج العناصر الثلاثة بعضها ببعض وهو الفكرة الدينية التي رافقت دائماً تركيب الحضارة خلال التاريخ). (ابن نبي 1987: ١١٥) ويرى مالك بن نبي أن المجتمع يتكون من ثلاثة مركبات هي: عالم الأشخاص وعالم الأفكار وعالم الأشياء، ويرى أن غنى المجتمعات لا يقاس بكمية ما تملك من أشياء، بل بمقدار ما فيها من أفكار ويضرب مثلاً لذلك (لقد دمرت ألمانيا وتعرضت روسيا إبان الحرب العالمية إلى دمار شامل في عالم الأشياء، ولكنهما سرعان ما أعادتا بناء كل شئ بفضل رصيدهما من الأفكار). (ابن نبي 1987: ١٢٣). وقياساً على ذلك يرى مالك بن نبي أن يعتز المجتمع الإسلامي بقيمه وتراثه وأن لا ينحاز لأي من التيارات الفكرية المختلفة.

إن الجانب التربوي الاجتماعي عند مالك بن نبي يعد من أهم المجالات التي تنبع من مفاهيم التربية الإسلامية في تربية الأفراد والمجتمع وهو يسعى إلى تكوين المجتمع الذي تسوده الأخلاق الفاضلة، ويستدل على ذلك بقوله ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). (البخاري، 1989: ٣ / ٢٣١). وبالتالي يسود في المجتمع الإسلام والخير والمحبة والإيمان والعدل والحرية والشورى والتسامح والاستقرار والأمن، قال ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). (البخاري 1989: ٢ / ١٢١). ومن هنا أتت أهمية التربية الاجتماعية التي أولاها مالك بن نبي في فكره وركّز جلّ اهتمامه على مشاكل المجتمع وخاصة في كتابه شبكة العلاقات الاجتماعية. أدرك ملك بن نبي أهمية التربية ودورها الفاعل في بناء المجتمع وأثرها في تحقيق الرفاهية والاستقرار والسعادة لأفراد المجتمع، باعتبار أن التربية هي أهم العوامل التي تساعد على تنمية الفرد وإعداده للحياة الاجتماعية، وأن نجاح الفرد يؤدي إلى

تنمية المجتمع في المجال الاقتصادي والسياسي والاجتماعي وهو ما يجعل المجتمع يتجاوز مشكلاته المختلفة ويصل إلى درجة التحضر، ويعتقد مالك بن نبي أن أصول التربية الاجتماعية تستمد من التطبيق العملي المتمثل في سيرة الرسول ﷺ، والتي يوافق فيها القول بالفعل، فكان ﷺ يلتزم الصدق والإخلاص وسلامة الضمير وطهارة النفس، لذا قام ببناء المجتمع الإسلامي على تقوى من الله، وقد كان ﷺ سريع الاستجابة في تنفيذ الأوامر الإلهية. قال تعالى: (قُلْ أَعْمَرَ اللَّهُ إِلَهُنَا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ \* مَنْ يُصِرْفِ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ). (الأنعام ١٤-١٥)، فكان حقاً المرابي الأول والقُدوة في السلوك والمعاملات قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب 21)، وفي ذلك يقول مالك بن نبي: (لم يصنع الرسول ﷺ نفوساً مؤمنة تقيّة فحسب، بل صنع عقولاً مستنيرة وطرق إرادات فولاذية، إنه ينمي الشعور بالمسؤولية ويشجع المبادرة في كل إنسان، ويعظم الفضيلة في أبسط صورها، وإن التآسي والمسارة لهما رائد كل عضو في الجماعة، أنه يرى نفسه في سباق إلى الخير بحسب أمر القرآن). (ابن نبي 1987: ٦٩)، ويستمر مالك بن نبي في توضيح أهمية الإقتداء بالرسول ﷺ، فيستدل بأحاديث له، كان ﷺ يكثر من الصلاة والعبادة ويقول: (أنا أعبدكم لله). (النيسابوري، د. ت: ٦/ ٢٣٧). وكان يصلي بالليل حتى تتفطر قدماه وفي ذلك يقول: (لقد احتمل النبي ﷺ كل المتاعب التي فرضها على جنده من خلال الحقيقة المضنية وهي مبرر هائل ورائع ارتبطت فيها عبقرية مصور الصحراء بنفس المؤمن المضطربة، ومُخدِّم ﷺ باعتباره نبياً يلتزم دائماً في سلوكه الشخصي الحقيقية المنزلة، فهو يقوم جزءاً كبيراً من الليل متنفلاً لكنه لا يلزم أتباعه بذلك). (ابن نبي 1987: ١٧٤)، وهنا يلاحظ اهتمام مالك بن نبي بالسيرة النبوية الشريفة حيث ثبت في كتاباته كثيراً من أحداثها العملية. وفي ذلك يقول مالك بن نبي: (وهو مع كونه ﷺ قائداً، لا يستأثر بأي ميزة دون صحابته، بل إنه في سلوكه الشخصي يعرفهم بحدود الجهد الإنساني، فلقد كانوا يؤسسون بالمدينة أول مسجد في الإسلام، ولقد كان النبي ﷺ كما كان صحابته يحملون الحجارة على أكتافهم وكل منهم يحمل لبنة، لكنه يلحظ مؤمناً متواضعاً هو عمار بن ياسر يحمل كل مرة لبنتين، فيخاطبه ليذكرى حماسه قائلاً: (لنأجر و لك أجران). (ابن نبي 1987: ١٨٥). ويضرب مالك بن نبي مثلاً برفع العامل الروسي استخائون لإنتاجه اليومي إلى الضعف مقارناً إياه بالعمل المضاعف الذي بذله أصحابه ﷺ في بناء مسجد المدينة، أو حفر خندق وفي كلتا الحالتين نجد أن الإيمان هو الذي مهد الطريق إلى الحضارة. وينطلق تفكير مالك بن نبي التربوي من تربية الجيل المثالي من أصحاب الرسول ﷺ الذين نزل فيهم قوله تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (أل عمران 110). ولا يدرك هذا الإصلاح في نظره إلا إذا قام كل فرد من المجتمع بواجبه وبالتالي تكتمل لبنات البناء الحضاري ويكتمل ببيان الإصلاح عن طريق الأفراد و المؤسسات والهيئات والجمعيات والأندية والمشاريع الاقتصادية التي تقود عملية التغيير الحضاري.

### المرأة عند مالك بن نبي

اهتم الدين الإسلامي بالمرأة، وأكد على أن لها دوراً مهماً وكبيراً في بناء المجتمع، فهي أساس الأسرة التي تقوم بمسؤولية كبيرة تجاه أفرادها، وإذا صلحت المرأة وصلح الرجل صلحت الأسرة التي تكون المجتمع بل الأمة المسلمة. قال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (أل عمران 110)). وبهذه الخيرية يبلغ المجتمع المسلم أعلى درجات الحضارة وهو الهدف الذي ينادي به مالك بن نبي. ونجد اهتمام الإسلام باللبنة الأولى في المجتمع، وهي الأسرة التي تمثل المرأة فيها حجر الزاوية والدور المهم في تنشئة الطفل، وهذه اللبننة تبدأ باختيار الزوجة الصالحة. قال ﷺ: (تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك). (

البخاري (1989: ٢٣٦/٦)، وفي اختيار الزوجة لزوجها قال ﷺ: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير). (النيسابوري 1990: ٣٢١/٦). وللمرأة مسؤوليات كما للرجل مسؤوليات في بناء الأسرة ولكن المرأة تتحمل العبء الأكبر لأنها تلازم الطفل من طور النطفة حتى سن التمييز .

يقول الشاعر : الأم مدرسة إذا أعددتها \*\*\* أعددت شعب طيب الأعراق

قال ﷺ (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعي علي أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته). (البخاري 1989: ٣٢١/٧). فهذا الحديث حدد المسؤولية لكل أفراد المجتمع دون تمييز لرجل أو امرأة لأنهم مشاركون في بناء المجتمع الإسلامي كل حسب دوره وطبيعة خلقه . اهتم مالك بن نبي في مشروعه التربوي بتحديد نوع وطبيعة المشكلات التي يواجهها المجتمع الإسلامي، ومن ضمن هذه المشكلات قضية المرأة التي تعرضت للكثير من التشويه وسوء الفهم، ويعتقد مالك بن نبي أن قضية المرأة تندرج ضمن المنظومة الفكرية العامة التي حددها في مشكلة الحضارة. (فمشكلة الحضارة بأبعادها الشاملة السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية هي مشكلة قضية لا تتجزأ وأي تجزئة لها يقود حتما إلى طرح المشكلات طرحا خاطئا ومن ثم تم تحديد وسائل خاطئة للعلاج). (ابن نبي 1989: ١٨٦). يقول مالك بن نبي في كتابه شروط النهضة (ليس هنالك مشكلة للمرأة معزولة عن الرجل فالمشكلة واحدة ، هي مشكلة الفرد في المجتمع الذي وضع المرأة في مواجهة الرجل وهذا تشويه للصراع الحضاري، لأنه يضع الزوجة في مواجهة الزوج، والبنت في مواجهة الأب، والأخت في مواجهة الأخ، فيتحول الصراع من صراع المجتمع ضد التخلف الحضاري والأثراب إلى صراع داخل المجتمع نفسه مما يلهيه عن التصدي للتحديات في بناء متماسك، وإن وضع جدار فاصل بين المرأة والرجل يؤدي إلى البحث عما يفرق ويجمع بينهما، وبعد ذلك إيجاد ما ينقص المرأة إزاء الرجل وهل هي أكبر أو أصغر منه أو تساويه في القيمة، وأن هذه الأحكام ما هي إلا افتراءات على حقيقة الأمر ومحض افتراء). (ابن نبي 1989: ١٨٧). ينتقد مالك بن نبي موقف المتمسكين بإبعاد المرأة عن المجتمع وإبقاءها في وضعها التقليدي الذي كرسه التقاليد، كما انتقد موقف الداعين إلى أن تخرج المرأة متحررة وتلفت إليها الغرائز، وإذا كان الموقف الداعي لتحرر المرأة على النمط الغربي يهدد المجتمع الإسلامي، فإن موقف المتمسكين أشد خطراً لأنه يعطى أعداء الأمة المبررات للخوض في سمعة الإسلام والتشكيك فيه، ويجعل المرأة تعجب بالموذج الغربي المتحرر وفي ذلك يقول: (إن إعطاء حقوق المرأة على حساب المجتمع معناه تدهور المجتمع، وبالتالي تدهورها أليست هي عضوا فيه، فالقضية ليست قضية فرد وإنما هي قضية مجتمع). (ابن نبي 1989: ١٩٣). ويرى مالك بن نبي أن حل المشكلة يكمن في التخلص من نظرة الإعجاب التي ينظر بها أنصار تحرر المرأة إلى المرأة الأوربية وفي ذلك يقول: (إنهم أغرموا بالنظر إلى الأوربي في مظهره فحسب، وقد ساهمت المرأة نفسها في ذلك فبدلاً من أن تعتمد على تعلم فن حياكة ملابسها وذوق هذا الفن لتستخدم القماش البسيط في أنافتها، تراها قد اكتفت بشرائها مجهزة مهياً بيد الأوربية الحاذقة، وبدلاً من أن تجمع المرأة قبضات العشب لأرانبتها تراها تصبغ أظافرها وشعرها وتدخن في المقاهي والأندية). (ابن نبي 1989: ١٩٤). وبما أن الحضارة عند مالك بن نبي مكونة من ثلاث مركبات هي ( الإنسان والتراب والعقل ) ، فإن الإنسان في فكره يمثل المرأة والرجل (نحن نرى لزماً علينا أن يكون تناولنا للموضوع بعيداً عن تلك الأناشيد الشعرية التي تدعو إلى تحرير المرأة، فالمشكلة لا تحدد في الجنس اللطيف فحسب أو في بنات المدن أو بنات الأسر الراقية، بل هي فوق ذلك تتعلق بتقدم المجتمع وتحديد مستقبله وحضارته). (ابن نبي 1989: ٢١١). فالحضارة إبداع وتميز وليست تقليداً وتبعية وهو ما يوضحه ( خليل 1989: ٩٧). (الهيكل الحضاري للرؤيا الإسلامية يشبه المثلث متساوي الأضلاع: الأرض والإنسان والمنهج أو الدين، ومن خلال المساحة المتاحة بينهما يسعى الإنسان لإبراز دوره



الاسترخاء في الأرض). فالإنسان الذي يمثل أحد أهم أضلاع المثلث يشمل المرأة والرجل على حد سواء وذلك بتحقيق غاية أكبر هي الاسترخاء وتهيئة الدنيا لعبادة الله وحده. ويدعو مالك بن نبي المرأة المسلمة إلى عدم تقليد المرأة الأوربية، ذلك ( أن تقليد المرأة المسلمة الشرقية المرأة الأوربية لا يحل المشكلة وإنما يزيد من تعقيدها لأن انتقال المرأة من امرأة محجبة إلى امرأة سافرة لم يحل المشكلة، فهي لا تزال قائمة وكل ما فعلناه هو أننا نقلنا المرأة من حالة إلى حالة وسنرى عما قريب أن انتقالها هذا عقد المشكلة بعد أن كانت بسيطة). (ابن نبي 1989: 213). ويؤكد مالك بن نبي على ضرورة تمسك المرأة المسلمة بالحجاب الإسلامي والتزّي الشرعي، لأنه ليس مسألة جانبية أو شكلية بل هو نموذج حضاري وتوازن أخلاقي ( ليس اللباس من العوامل الإسلامية التي تفر التوازن الأخلاقي في المجتمع فحسب بل إن له روحه الخاص به، وإذا كانوا يقولون: (القميص لا يصنع القسيس) فإني أرى إلى حد ما العكس من ذلك فإن القميص يسهم في تكوين القسيس لأن اللباس يضيف على صاحبه روحه). (ابن نبي 1989: 243)، ويضرب مثلاً في ذلك أن مصطفى كمال أتاتورك الذي قضى على الخلافة العثمانية في سنة 1924م، حين نزع الطربوش واستعاض عنه بالقبعة لا يريد فقط تغييراً شكلياً واستبدال زي بآخر، وإنما أراد اعتماد حضارة وسلوك اجتماعي معين، لذلك جاءت القبعة بمثابة القنبلة التي انفجرت في ذلك المجتمع، فالزى ليس مجرد ديكور خارجي خال من المعاني والمضامين الكبرى في حياة الأمة، بل هو تعبير عن الهوية الإسلامية فهو يسهم في تمييز المجتمعات عن بعضها ويعطيها خصوصيتها المتفردة ويجعل الفرد يشعر بانتمائه لثقافته وحضارته الخاصة ويعطيه الشعور بالتكليف الاجتماعية التي يضعها عليه لباسه المميز). (ابن نبي 1989: 253)، أما بالنسبة للمرأة فإنّ الزى يمثل حقيقة وفكر المجتمع، يقول مالك بن نبي وهو يعبر عن طبيعة الحضارة الغربية وثقافتها الساعية إلى تقديس مبدأ اللذة: (غير أنها أصبحت اليوم - أي المرأة الغربية - تلبس اللباس الفئان المثير الذي لا يكشف عن معنى الأنوثة فهو يؤكد المعنى الجسدي الذي تمسك به سادة الغرام باللذة العاجلة). (ابن نبي 1989: 256).

يضرب مالك بن نبي نموذجاً حياً لتكييف المرأة مع الاختيار الثقافي والحضاري والسياسي عن طريق الزى وهو أنموذج المرأة اليهودية في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، والتي كانت تنهياً للهجرة من الجزائر إلى فلسطين لتندرج في حياة دولة الصهاينة، فقد كانت هذه المرأة تأتي من أطراف الواحات الصحراوية الجزائرية بأزيائها البلدية للتحويل إلى مواطنة يهودية ومنذ أن تصعد إلى الباخرة تترك الملفحة والكحل وترتدي الأزياء التي تناسب المجتمع الجديد، وهذا التغيير الشكلي في حقيقته هو مجرد خطوة أولى في سلسلة تطورية تصل إلى حد التغيير النفسي والفكري بعد أن تكون المرأة اليهودية ألفت عن جسدها اللباس القديم الذي كان يربطها بالمجتمع منذ قرون، واستعدت لبناء شخصيتها وتشكيل وعيها في المحيط الجديد). (ابن نبي 1989: 256). ويرى مالك بن نبي أن توضع أزمة المرأة الأوربية في الاعتبار بعد أن فرضت عليها التغييرات الاقتصادية والاجتماعية الخروج للعمل: (فقد كانت المرأة في أوربا ضحية هذا الخروج لأنّ المجتمع الذي حررها قذف بها إلى المصنع والمكتب، وقال عليك أن تأكلي من عرق جبينك في بيئة مليئة بالأخطار على أخلاقها، وتركها في حرية مشؤومة ليس لها ولا للمجتمع فيها نفع، ففقدت وهي مخزن العواطف الإنسانية الشعور بالعاطفة نحو الأسرة، وأصبحت بما ألقى عليها من متاعب العمل صورة مشوهة للرجل دون أن تبقي امرأة، وعليه يجب أن نضع قضية تحرر المرأة المسلمة في إطارها الحضاري الإسلامي الطبيعي وفي إطار الخصوصيات الحضارية والثقافية للأمة لذا ينبغي أن نطبع حركتنا النسائية بطابعنا لا بطابع ما يصنع في الخارج). (ابن نبي 1989: 261). ولحل مشكلة المرأة يقترح مالك بن نبي عقد مؤتمر عام تحدد فيه مهمة المرأة بالنسبة لصالح المجتمع ويشارك فيه إلى جانب علماء الشريعة، الأطباء وعلماء النفس والاجتماع وعلماء التربية، وحينئذ يمكن القول أننا وضعنا المنهج الأفضل لحياة المرأة ولسوف يكون هذا المنهج حتماً في صالح المجتمع لأن علماء والمفكرين فيه هم الذين وضعوه وينبغي أن تكون مقررات المؤتمر العام دستوراً لتطور المرأة في العالم الإسلامي). (ابن نبي 1989: 263).

## الجوانب التربوية الاقتصادية

أصبح ينظر إلى التربية منذ منتصف القرن الماضي على أنها عملية استثمار في الموارد البشرية، وهي بذلك لم تعد مجرد خدمة تقدم لمن يطلبها، أو أداة لاستغلال أفراد المجتمع لخدمة أهداف ومصالح النظام السياسي السائد في دولة ما فقط، فبعد نهاية الحرب العالمية الثانية دخلت المصطلحات الاقتصادية مجال التربية والتعليم، مثل حساب المدخلات والمخرجات والعائد من التعليم والعائد التربوي وغيرها، وأكدت كثير من الدراسات والبحوث التي أجريت في هذا المجال أن الاستثمار في الموارد البشرية يفوق أضعافاً مضاعفة الاستثمار في أي مورد أو موارد أخرى، والشاهد في هذا التقدم الذي أحرزته اليابان في فترة وجيزة بعد خروجها مهزومة في الحرب العالمية الثانية، وذلك بحسن تدبيرها وتخطيطها في مجال صياغة الإنسان وإعداده عن طريق التربية والتعليم .

يربط مالك بن نبي ربطاً وثيقاً بين الدين والطاقة الاقتصادية، حيث أن الدين هو المحرك للطاقة الاقتصادية يقول: ( إن العنصر الديني يدخل في تكوين الطاقة النفسية الأساسية لدى الفرد وفي تنظيم الطاقة الحيوية الواقعة في تصرف الفرد ثم توجيه طاقته وفقاً لمقتضيات النشاط الخاص بهذا ( الأنا ) داخل المجتمع وتبعاً للنشاط المشترك الذي يؤديه للمجتمع في التاريخ ). ( ابن نبي 1987: ٧٨ ). ويؤكد ابن نبي أن الفكرة الدينية هي التي تدفع المؤمنين للعمل والإنتاج وتحقيق الرفاهية الاقتصادية، وهذا الأمر ينطبق على الحضارة الإسلامية والمسيحية بل حتى الحضارات الأخرى كالشيعية والتي اعتبرها مالك بن نبي فكرة وليدة الإيمان، (والشيعوية في جوهرها نشاط المؤمنين المدفوعين بنفس القوة الداخلية التي دفعت غيرهم من المؤمنين في مختلف العصور، فنحن لا يمكننا أن نفكر في المثل الذي ضربه " استخانوف " للطبقة العاملة في روسيا حيث رفع مستوى الإنتاج اليومي إلى الضعف في مناجم الفحم، دون أن نفكر في المثل الذي ضربه سلمان الفارسي الذي كان يقوم بأضعاف العمل الذي يؤديه الصحابي الواحد في حفر الخندق، أو المثل الذي ضربه عمار بن ياسر حين كان يحمل حجرتين على كاهله في بناء مسجد المدينة حيث كان الفرد يحمل حجراً واحداً. ففي كلتا الحالتين نجد أن الإيمان هو الذي مهد الطريق للحضارة ). ( ابن نبي 1989: ١٨٩ ).

إن الدين الإسلامي يدعو إلى الجد والعمل وذلك لتعمير الأرض وتحقيق الخلافة في الأرض قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ). (البقرة 30). فالاستخلاف يتطلب عمران الأرض الذي لا يتم إلا بالإنتاج والعمل المشروع كالزراعة والتجارة والرعي وغيرها، وحتى الأنبياء (عليهم السلام) رغم مسؤولياتهم الجسام، وهي التبليغ والدعوة إلى الله، كانوا قدوة في العمل. قال ﷺ: ( ما من نبي إلا ورعى الغنم ). ( البخاري ١٩٨٩: ٢٨٧/٥ ). فنوحاً عليه السلام كان نجاراً، وإدريس عليه السلام كان خياطاً، وقد كان داود عليه السلام يصنع الدروع، وعمل سيدنا موسى عليه السلام أجيراً عند سيدنا شعيب قال تعالى: (قَالَتِ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَاجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ). ( القصص 26).

والمرابي الأعظم رسول الله ﷺ هو قدوتنا في العمل، فقد كان يرضى الغنم لأهل مكة، واشتغل بعد ذلك بالتجارة، وكل ذلك لاهتمام الإسلام بتعمير الأرض، وتفجير الطاقات والموارد الكامنة في باطن الأرض وظاهرها، قال تعالى: (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ ثَوَّبُوا إِلَيْهِ إِنْ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ). (هود 61). أولى مالك بن نبي كل اهتمامه لتحريك الإنسان المسلم - الذي يمثل جوهر الحضارة وعمودها الرئيس - نحو الإنتاج والعطاء للنهوض بالمجتمع، يرى مالك بن نبي أنه طالما بقى المجتمع عاجزاً عن إيجاد البدائل الفكرية والمنهجية التي تنسجم مع عقيدته وواقعه، فهذا يعني أن المجتمع ما زال يعاني من التبعية والتخلف ولم ترق أفكاره بعد إلى درجة الاستقلال والتحرر الشاملين، وهذا هو الذي يشكل خطراً على حاضر ومستقبل المسلمين لأن ( المجتمع الذي لا يصنع أفكاره الرئيسة لا يمكن على

أية حال أن يصنع المنتجات الضرورية لاستهلاكه ولا المنتجات الضرورية للتصنيع، ولا يمكن لمجتمع في عهد التشييد أن يبني بالأفكار المستوردة أو المسلطة علي من الخارج، فعلينا أن نكتسب خبراتنا وأن نحدد موضوعات تأملنا، ولا نسلم أن نحدد لنا بكلمة، علينا أن نستعيد أصالتنا الفكرية واستقلالنا في ميدان الأفكار حتى نحقق بذلك استقلالنا الاقتصادي والسياسي). ( ابن نبي 1987: 231). ينتقد مالك بن نبي التبعية الاقتصادية للغرب واستيراد منتجاته ( عملية استيراد أشياء الغرب ومنتجاته والاكتفاء بذلك سبباً للتقدم أشبه بالذي يحاول أن يعالج أعراض المرض ونتائجه البارزة الظاهرة للعيان، بدلاً أن يعالج أسبابه العميقة وأصوله الباطنية، مما يظهر المرض في الظاهر أنه اختفي لكنه في الحقيقة لا يزال ينخر في صحة المريض، ويستنزف قواه في الباطن لهذا يجب علينا معالجة تخلفنا، وألا نتبع سبيل الإستيراد، فنحاول أن نصنع من الخارج دارنا المتهمة بلون الحضارة الغربية ونملؤها بالأثاث ونقتنع بذلك كوسيلة تجعل دارنا المحطمة دار قوية شديدة الأركان، فإن النظرة البسيطة تشير إلى أن الدار تستدعي مهندساً يدرس أسباب الخلل، لا تاجرأ يملأ البيت بالأثاث والأدوات). ( ابن نبي 1987: 211)، ويرى مالك بن نبي أن العالم الإسلامي أصبح سوقاً للبضائع، لذا يحذر العرب والمسلمين من استيراد المنتجات الغربية من سيارات وآلات وعمارات وغيرها، ويضرب بذلك المثل في بناء المسكن الذي يستحيل بناءه بمجرد جمع الرمل والأسمنت والحديد والحجارة وباقي مواد البناء دون وجود أفكار هندسية وتخطيطية والتفاعل بين هذه الأشياء، وتسمى هذه الحضارة بحضارة الأشياء ظناً منها أنها ستضم إلى ركب الحضارة الغربية، ولكنه يؤكد أن الحضارة إنتاج بشري يشترك فيه المسلمون مع غيرهم ويتطور هذا الإنتاج بفعل التراكم والتجربة وأن الحضارة هي التي تلد منتجاتها). (ابن نبي 1989: 234).

يلاحظ أن الفكر التربوي الاقتصادي لمالك بن نبي يقوم على مفهوم الحضارة، والتي تمثل عنده معادلة رياضية من ثلاث متغيرات هي التراب والإنسان والزمن، وهذه المتغيرات تتفاعل مع الفكرة الدينية بمعناها الواسع الذي يشمل العقيدة أو الأيدولوجيا أو حتى المبدأ الأخلاقي، وبذلك يعتبر الاشتراكية والليبرالية والديمقراطية أدیاناً جديدة عند مقارنته بمضاعفة الجهد الاقتصادي في العمل بين عمار بن ياسر والعامر الروسي استخونوف، لأن كل منهما يقدر عمله ويبدل مزيداً من الجهد لتحقيق الغاية التي يؤمن بها، كما يربط مالك بن نبي المنهج التربوي الاقتصادي بالقيم التي خص بها سيدنا ﷺ، فالفضائل الخلقية هي التي تعد قوة جوهرية في تكوين الحضارات ( الروح وحدها هي التي تتيح للإنسانية أن تنهض وتتقدم فحيثما فقدت الروح سقطت الحضارة، وانحطت لأن من فقد القدرة على الصعود لا يمتلك إلا أن يهوي تحت تأثير الجاذبية، والبناء لا يقوى بالعلم والعقل والفن فحسب، فإذا توقف إشعاع العقل يفقد العلم كل معناه، وبالتالي يفقد الإنسان تعطشه إلى الفهم وإرادته للعمل، عندها يفقد المهمة وقوة الإيمان، وبذا يتوقف العالم الإسلامي كما يتوقف المحرك عندما يستنفد آخر قطرة من الوقود). (ابن نبي 1987: 179). ويرى مالك بن نبي ضرورة الإهتمام بالأخلاق وتطبيقها على العلوم الإنسانية الأخرى ( إن العلوم الأخلاقية والاجتماعية والنفسية تعد اليوم أكثر ضرورة من العلوم المادية، فهذه تعتبر أكثر خطراً في مجتمع ما زال الناس فيه يجولون حقيقة أنفسهم، ومعرفة إنسان الحضارة وإعداده أشق من كثيراً من صنع محرك أو ترويض قرد على استخدام ربطة عنق). ( ابن نبي 1987: 183). يدافع مالك بن نبي عن المنهج الذي يدعو المسلم للدراسة والتعمق في العلوم الاجتماعية والأخلاقية، وعلى الرغم من دراسته للهندسة وتخصصه في مجال الكهرباء، إلا أنه يرى أن العالم الإسلامي ليس في حاجة إلى هندسة بل في حاجة إلى أفكار، وهذه الأفكار هي التي تؤدي إلى الفعالية التي تجعل المسلم يتحرر من قبضة الاقتصاد الغربي الذي يطلق عليه اسم ( الاستعمار الجديد ) والذي يجعل المسلم زبوناً مقلداً يجمع المنتجات الغربية ويكدها، ويعقد مالك بن نبي مقارنة بين منتجات الدولة الغربية والدول العربية فيقول: (الدولة الغربية تقدمت بعرض يتمثل في أسمنت ورخام وتطلب حديد للصناعات والبناء ومنتجات كيميائية وعلاجية، بينما الدولة العربية لم تعرض أي شيء وتطلب مجوهرات وملابس ومساحيق وعلطور ولعب وحلوى وفواكه محفوظة وحرير

طبيعي وأقطان حرير صناعية، وهذا يدل على اتجاهات العالم الإسلامي التي تنعكس في حياته الاقتصادية وعلاقاته التجارية). (ابن نبي 1987: ١٩٢). يوجه مالك بن نبي نظر أغنياء المسلمين إلى ضرورة الإنفاق على الفقراء وبالذات على التعليم (لقد زاد عدد أغنياء المسلمين على فقراهم لكن كثيراً من أولئك الأغنياء لا يهتمون بتولي طفل مسلم لتربيته تربية عملية أو فنية بل لا يهتمون برعاية عمل ذي فائدة عامة، ولقد لاحظت في قرية صغيرة من قري قسنطينة حيث توجد مدرسة هي المؤسسة الوحيدة ذات النفع العام، هذه المدرسة توازن بصعوبة ميزانيتها المتواضعة في حدود ستمائة ألف فرنك فقط، أنفق هؤلاء الفقراء الذين يعانون الفقر فعلاً، أنفقوا في ليلة واحدة أكثر من مائتي ألف فرنك ما بين دار الخيالة وكوخ وقمار وبعض المقاهي). (ابن نبي 1987: ١٩٥). يدعو مالك بن نبي إلى تغيير النظرة التقليدية إلى الإقتصاد من مجرد مدخلات ومخرجات إلى اعتباره جزءاً أصيلاً من تكوين الإنسان ويوضح ذلك في تفسيره للآية الكريمة: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) [الرعد: ١١] بقوله: (لو تدبر أهل الإقتصاد من المسلمين هذه الآية لوصلوا إلى نتيجة أن الإقتصاد ليس قضية إنشاء بنك أو تشييد مصانع فحسب، بل هو قبل ذلك قضية تشييد الإنسان وإنشاء سلوكه الجديد أمام كل المشكلات). (ابن نبي ١٩٨٧: ١٩٨). ويؤكد مالك بن نبي أن الإقتصاد الإسلامي يجب أن يقدم تجربة جديدة تتجنب السلبيات التي صاحبت تطبيق الإقتصاد الرأسمالي والإقتصاد المادي (المجتمع الإسلامي أجدر من أن يحقق له وللإنسانية التجربة التي تعيد إلى عالم الإقتصاد أخلاقياته، ويتلافى بذلك الإنحرافات التي تورطت فيها الرأسمالية، كما ينجو من ورطة الماركسية المادية التي سلبت الإنسان ما يميزه عن الآلات والأشياء). (ابن نبي ١٩٨٧: ٢١٣). ويحذر مالك بن نبي من قفل باب الإجتهد إذ فيه تعطيل للفكر الإسلامي من الإنطلاق والبحث عن حلول للمشكلات التي تواجه المجتمع الإسلامي وخاصة المشكلات الإقتصادية، فهو يعتبر أن المسلمون يواجهون تحد كبير في مجال الإقتصاد (إن حركة الأفكار مهما كانت وجهتها تدفع الفكر لتدعيمها أو تصحيحها أو حتى لمقاومتها، وأعتقد أن الفكر الإسلامي مدعو إلى خوض معركة كبرى لمواجهة تحدي عالم الإقتصاد). (ابن نبي ١٩٨٧: ١٩٩).

#### الجوانب التربوية السياسية

يعرف (مجد ١٩٩٤: ٢٣٧) التربية السياسية بأنها (العملية التي يمارسها المجتمع أفراداً أو أحزاباً أو دولة، سواء في إطار نظام سياسي مقبول أو في إطار سياسي مرفوض، وذلك بهدف اكتساب القيم والمبادئ والاتجاهات التي يؤمن بها المرئي والمتصلة بالحياة السياسية وقضاياها الرئيسية كالهوية والانتماء والولاء والقيادة والمشاركة والحريات والمشاركة والواجبات، وذلك عن طريق مختلف الوسائل والطرق والممارسات التربوية والتنشيطية المتاحة سعياً وراء الأهداف التي يرسمها الإطار الفكري الذي ينطلق منه المرئي). يرى مالك بن نبي (أن هنالك علاقة مباشرة بين السياسة والحياة، فالأولى تخطيط للثانية، وما السياسة في جوهرها إلا مشروع لتنظيم التغييرات المتتالية لظروف الإنسان وأوضاع حياته. هذه العلاقة تتحد وضع الفرد باعتباره غاية كل سياسة، ويعتبر الفرد أيضاً عاملاً لتحقيق تلك الغاية، وهكذا يعتبر الإنسان عنصراً في المشروع السياسي من وجهتين: أي باعتباره (ذاتاً) تحقق الغاية من السياسة و(موضوعاً) هو بعينه الغاية المرجوة). (ابن نبي 1987: ٢١٠). كذلك اهتم مالك بن نبي كغيره من الفلاسفة التربويين بالفرد وهو ما تسعى إليه الدول والسياسيون والمفكرون لنهضة المجتمعات وتحقيق التقدم الاقتصادي والسياسي والاجتماعي. وتبنى مالك بن نبي في أفكاره التربوية السياسية منهج الإصلاح الإسلامي، ودعا إلى تكوين مجتمع يقوم على الانسجام في الفكرة والعمل ومناهضة القابلية للاستعمار التي يتصف بها المجتمع المسلم، وركز جهوده على الإنسان كباعث أساسي لأي حضارة وعلى دور العقيدة، ويرى أن العلم والأخلاق أصلان من أصول الحضارة، وهذا الرأي هو نتيجة واقعية لاطلاع مالك بن نبي على الثقافة الأوروبية ومعايشته لها في وطنها إضافة إلى ثقافته الإسلامية، كل ذلك جعل فكره السياسي يمتاز بالتطور والقدرة على التحليل، وهو يمثل اتجاهًا متميزًا في فلسفة الإصلاح، وله مدرسة فكرية تتمم بقضايا المجتمع ومشكلات الحضارة، ترى

أن العالم الإسلامي على الرغم من تخلصه من الاستعمار إلا أنه يعيش مخلفاته التي كبلت حركته وأعاقت تقدمه وتطوره، وأن الهزيمة التي يعيشها المسلم اليوم لا يمكن أن يتحرر منها إلا إذا تخلص من القابلية للاستعمار، وأن نهضة المسلم لا تتم إلا إذا انتصر على نفسه وسعي إلى التغيير، مصداقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ( كيفما تكونوا يولى عليكم ) (القضاعي 1986: 231/4 ) ، وفي قوله تعالى ( ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمه أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وان الله سميع عليم ) (الأنفال ، 53 ) . (القرشي 1988: 212 ) . وفي ذلك يقول مالك بن نبي: (لقد انتهى المجتمع الإسلامي منذ عدة قرون إلى آخر خطوات حضارته، وهو اليوم في مرحلة ما قبل التحضر من جديد، ولقد بذلت جهوداً كبيرة خلال ما يقرب من قرن لكي تدب فيه الحركة من جديد، لكن إقلاعه يبدو ثقيلاً وبطيئاً إذا ما قورن ببعض المجتمعات المعاصرة مثل اليابان والصين الشعبية التي كانت متأخرة عنه بكثير، وأنّ هناك نوعين من المعوقات، فالمدافعون عن الاستعمار يرجعون إلى الإسلام سبب تأخير الإقلاع، وأما حاملوا لواء النظرية القومية فيعزونه إلى الاستعمار وفي تلك النظريتين خطأ جسيم، فالفريق الأول يتجاهل حقيقة صارخة وهي أن الاستعمار مسؤول عن النصيب الأكبر من الفوضى التي تسود العالم الإسلامي اليوم، وأما الفريق الثاني عندما يلقي اللوم على الاستعمار يحاول أن يخفي سياسة التملق التي يتبعها مع شعوبه كونها لا تخفف من القضاء على المشكلة ) . ( ابن نبي 1987: 217 ) ، ويوصي مالك بن نبي الفرد المسلم بأن يركز جهوده في القيام بواجبه كاملاً وعدم الانتظار للحصول على الحقوق من طرف خارجي، ويناشد المسلم ألا يتخذ ذرائع كثيرة وإجابات تبريرية، فيبرر غيابه عن العمل بصعوبة المواصلات ومشاكل السكن وتدني الأجور مقابل بذل الجهد اللازم، ويبرر عدم الجودة في العمل بغياب المحفزات، (حتى أصبحنا لا نتكلم إلا في حقوقنا المهضومة ونسبنا الواجبات، وبدلاً من أن تكون البلاد ورشة للعمل المثمر، والقيام بالواجبات الباعثة للحياة فإنها أصبحت سوقاً للانتخابات، وصارت كل منضدة في المقاهي منبراً تلقى منه الخطب الانتخابية، فلکم شربنا في تلك الأيام الشاي، وكم سمعنا من الاسطوانات وكم ردنا عبارة أننا نطالب بحقوقنا، تلك الحقوق الخلابية التي يستهلكها الناس فلا يعمدون إلى الطريق الأصعب طريق الواجبات ) . (ابن نبي 1987: 225 ) . يرى مالك بن نبي أنّ سبب انحطاط المسلمين هو إغفال النهضة الاجتماعية، والتركيز على البعد السياسي والإفراط في عملية التسييس، لأنّ فكرنا السياسي يقوم على تأجيل الأعمال وتضييع الوقت وعدم الاهتمام بالمصلحة العامة وعدم القدرة على تجاوز الأنانية، وعدم وضع الكفاءات في المكان المناسب والتجزئة السياسية وعدم تطبيق الشريعة الإسلامية، إضافة إلى العشائرية والمحسوبية الشخصية والإقليمية ( إنّ عقائدنا السياسية تدين لتلك القيم الفاسدة للحضارة تلك العقائد التي تمثلت عندنا اليوم في أسطورة الرجل الوحيد الذي ينقذنا، والشئ الوحيد في البيان وتدويق الكلام، وهكذا نتقل من وهم للتخبط إلى وهم، ولا ندري كم من السنين نقضيها لحل المشكلة التي هي مشكلة حضارة أولاً وقبل كل شئ ) . (ابن نبي 1987: 226 ) . يطالب مالك بن نبي بتحويل السياسة الإسلامية إلى علم اجتماع تطبيقي لا مجرد نشاط فوضوي، وهذا العلم (السياسة الإسلامية) يقوم على منهج تربوي يؤدي إلى المجتمع المتحضر وهذه السياسة المطلوبة تقوم على مبدئين: أن تتبع سياسة تتفق ووسائلنا، وأن نوجد بأنفسنا وسائل سياستنا. وشرح هذه المبادئ التي تقوم عليها السياسة المطلوبة في قوله: (الاعتماد في هذه الوسائل على الإنسان و التراب والوقت والتي تكون الناتج الحضاري وبهذا يمكن التخلص من القابلية الاستعمارية وتحسين ما لدينا من وسائل للتغيير يمكن التخلص من الاستعمار، والمهم في السياسة هو المضمون لا الشكل السياسي السائد أكان جمهورياً أو ملكياً أو استبدادياً مطلقاً) . ( مالك بن نبي 1987: 233 ) ، ويعتقد مالك بن نبي أن الأمم المتحدة أو غيرها من تلك المسميات لا تحل مشكلة الذين يعلقون آمالهم عليها ويصفهم بالتخبط، هذه السياسة الخارقة (البولتيكا) ما زالت تخفي العناصر الحقيقية للمشكلة عن ضمير المسلم، فهو يتكلم حيث يلزمه أن يعمل، وهو يلعن الاستعمار حيث يجب عليه أن يلعن القابلية الاستعمارية، وهو مع هذا لا يبذل أقل مجهود في سبيل تغيير وضعه تغييراً عملياً، أما أكثر القادة

جداً فهم في انتظار الملابس أعي، يتوقعون سنوح فرصة ليرفعوا عقائدهم معلقين آمالهم على بعض الأساطير المسماة الأمم المتحدة أو الضمير العالمي). (ابن نبي 1987: 236). يرى مالك بن نبي أنّ بعض المسلمين لا يحسن الاستفادة من الوقت ولا يحسن تطبيق ما يعرفه من علوم، ولا يحسن استغلال ما لديه من مال، فهو يتكلم أكثر مما يعمل يقول: (إننا نرى في حياتنا اليومية جانباً كبيراً من اللافعالية في أعمالنا إذ يذهب جزء كبير منها في العبث والمحاولات الهائلة، وإذا ما أردنا حصرها لهذه القضية فإننا نرى سببها الأصلي في افتقارنا الضابط الذي يربط بين عمل وهدفه، بين سياسة ووسائلها، وبين ثقافة ومثلها، وبين فكرة وتحقيقها، فسياستنا تجهل وسائلها وثقافتنا لا تعرف مثلها العليا). (ابن نبي 1987: 239). يعتقد مالك بن نبي أنّ السياسة يجب أن تكون مستندة لدراسة دقيقة للواقع بعيداً عن الإرتجال، مبنية على التخطيط السليم، فالنهضة الشاملة بجميع جوانبها عملاً يجب أن تشرف عليه مؤسسات تخطط وتوجه، ولذلك نجده في كل مجال يتكلم فيه عن مسألة اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية مهمة، فهو يطالب بالآتي: مجلس للتوجيه الفني يحل مشكلة التربية المهنية تبعاً لحاجات البلاد، مجلس لتوجيه الثروة وتوظيفها، ومؤتمر عام لحل مشكلة المرأة بمشاركة علماء التربية وعلماء النفس والأطباء وعلماء الشريعة. تعد التربية عند مالك بن نبي عاملاً مهماً من العوامل التي تحقق القوة السياسية في المجتمع والدولة، وأنّ قوة الدولة والمجتمعات تقاس بمدى قوة النظم التعليمية والمناهج التربوية، والتي تقوم على تحقيق عوامل النهضة والتطور والتي تعيد للإسلام فاعليته بصفته ديناً سماوياً تجلّفي أعظم الحضارات الإنسانية في التاريخ، وهي حضارة قامت على أساس الفضائل والأخلاقية والقيم السمحاء المتمثلة في واقع الاتصال بين الإيمان والعمل والعلم والضمير. (ابن نبي 1984: 147). ويورد مالك بن نبي أمثلة عملية من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، منها عملية المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين التي كانت تشكل أساس المجتمع الجديد والحضارة الجديدة وتعلن ميلاد ذلك المجتمع الذي يقوم على أوامر الأخوة الإسلامية قال تعالى: (وَأَلَّفَ بَيْنَ فُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ فُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ). (الأنفال 63) وقد تجلّت عبقرية النبي ﷺ التي وطدت أركان الدولة الإسلامية وقام بحل المشاكل التشريعية والدينية والسياسية والعسكرية التي واجهت مجتمع المدينة الناشئ، فالرسول صلى الله عليه وسلم هو المرئي الأول الذي تحمل ضخامة المسؤوليات، وعظم الابتلاءات لبناء المجتمع الوليد، فكان الرسول ﷺ يقوم بالتربية السياسية التي تحتاج للقرارات السياسية الهامة والتخطيط الاستراتيجي الحربي، ويلجأ إلى الله بسلاح الدعاء في حماية الدولة الإسلامية عندما رأى التفوق العددي لأعداء الإسلام بالنسبة لقلّة يقودها، فنجد يرفع يده للسماء فيدعو إلى الله قائلاً: (اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبداً، اللهم أنجز ما وعدت) (الطبراني 1983: 251/4). (ابن نبي 1987: 238)، وكذلك قام الرسول ﷺ بالعمل الدبلوماسي والممثل في معاهدة قريش (وهكذا بينما كان النبي يقود في سبيل الله فيلق الشهداء الذين اتبعوه، كان القائد الذي يلحق أبطال ملحتمته أسمى دروس الدبلوماسية والإستراتيجية الحربية، جاعلاً من المسلمين بهذا التوجيه المزدوج أعظم الفاتحين نزاهة في الوقت الذي يعتبرونه فيه أكمل المستبرين في التاريخ). (ابن نبي 1987: 241).

إن التربية الإسلامية التي دعا إليها النبي ﷺ تتمثل في إقامة المنهج الرباني الذي اختاره الله للقيادة قال تعالى: (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ). (الحج 41)، وكذلك في قوله تعالى (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (ال عمران 110)، فكانت التربية النبوية التي تتخذ من القرآن منهجاً لإرساء دعائم الدولة الإسلامية، لتخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله رب العباد ومن ضيق الدنيا، إلى سعة الدنيا والآخرة، من جور الأديان إلى عدل الإسلام. وهذا هو المنهج الذي يهدف إلى ربط قيم السماء بالأرض قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً

عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ). (الحج ٧٧-٧٨) . فهذه الآيات شملت واجبات المسلم، الذي يأمر بالركوع والسجود وإقامة الصلاة، التي هي عمود الإسلام وعدم الشرك بالله وفعل الخير ما استطاع اجتنابه ونواهيه والمحرمات والتخلص من أمراض المجتمعات المتمثلة في القضاء على العادات والتقاليد البالية والعصبية القبلية والطائفية وإثارة النعرات العنصرية والجهورية وقال الرسول ﷺ : ( ليس منا من دعا للعصبية ) ( ابن ماجه د . ت: ٣٢١/٥ )، ويؤكد هذا المنهج الاعتصام بحبل الله المتين قال تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ) (ال عمران 103) ، وفي قوله تعالى ( وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ) (الأنفال 46). (ابن نبي ١٩٨٧) . يمكن القول في فكر مالك بن نبي السياسي التربوي أنه (أول باحث حاول أن يحدد أبعاد المشكلة ويحدد العناصر الأساسية في الإصلاح ويبعد في البحث عن العوارض، وكان أول من أودع منهجاً محدداً في بحث مشكلة المسلمين على أساس في علم النفس والاجتماع وسنة التاريخ). (ميلاد ١٩٩٨: ١٢٣) ، وهو كذلك يعد من المفكرين المسلمين الذين اهتموا بالمجتمع المسلم وهموم الأمة الإسلامية ، وقضاياها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، فقد كان شاهد عصر لواقع الأمة الإسلامية بمشكلاتها المزمنة ، فلم يكتف بتشخيص هذا الداء ، لكنه حدد الدواء ، ووضع الحلول المناسبة لتلك المشكلات ، حتى تقوم الأمة الإسلامية بدورها الريادي والرسالي في إلحاق الرحمة بالعالمين ، قال تعالى : وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ (١٤٣). (البقرة 143) ، فالإصلاح السياسي يعد هدفاً تربوياً يسعى إليه الفلاسفة والمفكرين، وقائد ذلك هو الإنسان الذي يعد أساس عملية التغيير، وهذا ما دعا إليه مالك بن نبي في حياته. إن هذه الجوانب التربوية الواضحة في حياة مالك بن نبي إنما ترجع إلى معاشته لظروف المجتمعات المسلمة وغير المسلمة حيث أنه تنقل في أكثر من بلد وتعرف عن معاشته وتواصل على طرق تفكير الناس في البلاد التي عاش فيها.

## النتائج

- ١ / إن المورد البشري أهم ما يمتلكه أي مجتمع إنساني، والمحرك الأساسي لهذا المورد هو الفكر، فهو الذي يقود إلى تحفيز الأفراد للتنمية في كافة مجالاتها.
- ٢ / إن التربية الاجتماعية في المجتمع المسلم تستمد محتواها وأساليبها من أقوال وأفعال الرسول ﷺ، فهو المرئي الأول والقدوة في السلوك والمعاملات .
- ٣ / أولى مالك بن نبي قضية المرأة عناية خاصة، فقد شابه كثير من التشويش وسوء الفهم، ولا بد من النظر إليها من خلال المنظومة الفكرية العامة ذات الصلة القوية بالحضارة .
- ٤ / لا تنفصل قضية المرأة عن الرجل، وهي عموماً مشكلة الفهم في المجتمع الذي وضع المرأة في مواجهة الرجل دون مراعاة خصوصية طبيعة كل منهما، علماً أن لكل منهما دور خاص يقوم به ، وهذا الدور يستند إلى طبيعة كل من الرجل والمرأة ، وهو موقف وسط بين المتمسكين بإبعاد المرأة والآخرين المتمسكين بتحرير المرأة.
- ٥ / الطريق الوحيد للحصول على الحقوق هو أداء الواجبات مع ضرورة استشعار كل فرد في المجتمع لدوره وأنه مسؤول عن إحداث التغيير الداخلي في ذاته وهو المدخل الصحيح للتغيير الشامل .

٦/ إن الصلة مباشرة بين الحياة والسياسة، فالسياسة خطة لإحداث التغييرات المطلوبة في حياة المجتمع على اعتبار أن الإنسان وسيلة لتحقيق الغاية من السياسة .

٧/ إن العلم الإسلامي وعلى الرغم من ذهاب الإستعمار ما زال متأثراً بآثاره السلبية والتي تتمثل في الهزيمة النفسية والقابلية للإستعمار ، والنهضة لا تتأتى إلا بالإصلاح الشامل الذي أساسه تغيير الأنفس .

#### التوصيات :

١/ تعريف طلاب التعليم العام والعالي بسيرة مالك بن نبي عامة وما بثه من أقواله في كتب ومحاضرات ولقاءات .

٢/ عقد لقاءات علمية محلية وعالمية تحري رعاية جهات متخصصة لإستخراج الجوانب والأفكار التربوية في حياة مالك بن نبي .

٣/ إجراء دراسات وبحوث تربوية مقارنة للجوانب التربوية في حياة مالك بن نبي .

٤/ إتاحة الفرصة للباحثين والدراسين للعلوم التربوية خاصة للإطلاع على مؤلفات مالك بن نبي .

#### المصادر والمراجع

##### القرآن الكريم.

١/ ابن ماجة ( د . ت )، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، بيروت، دار الفكر .

٢/ البخاري ( ١٩٨٩ )، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، بيروت، دار ابن كثير .

٣/ الترمذي ( د . ت )، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، بيروت، دار إحياء التراث .

٤/ الفضاوي ( ١٩٨٦ )، محمد بن شهاب، مسند الشهاب، بيروت ، مؤسسة الرسالة .

٥/ النيسابوري ( ١٩٩٠ )، محمد بن عبد الله الحاكم، المستدرک، بيروت دار الكتب العلمية .

٦/ النيسابوري ( د . ت )، مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، بيروت دار الكتب العلمية .

١/ ابن نبي ( ١٩٨٧ )، مالك، المسلم في عالم الإقتصاد، بيروت، دار الفكر المعاصر .

٢/ إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ، دمشق، دار الفكر .

٣/ الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ، دمشق ، دار الفكر .

٤/ الظاهرة القرآنية ، دمشق ، دار الفكر .

٥/ وجهة العالم الإسلامي ، دمشق ، دار الفكر .

٦/ إمام ( ١٩٩١ )، زكريا بشير، دراسة نقدية في الفلسفة الإسلامية، بيروت، دار الجيل .

٧/ خليل ( ١٩٨٩ )، عماد الدين، حول تشكيل العقل المسلم، بيروت، دار الفكر .

٨/ ميلاد ( ١٩٩٨ )، زكي، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة ، بيروت، دار الفكر .

١/ إبراهيم ( ٢٠٠٨ )، التجاني محمد، الفكر التربوي عند مالك بن نبي في ضوء التربية الإسلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية- الحاصحيا، جامعة الجزيرة.

٢/ الخطيب ( ١٩٨٨ )، سليمان عبد الدائم، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، مصر .

٣/ الفريشي ( ١٩٨٨ )، علي حسن، الأسس التربوية للتغيير الإجتماعي عند مالك بن نبي ، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة عين شمس، مصر

٣/ محمد ( ١٩٩٤ )، عبد القوي عبد الغني، الجوانب التربوية في حياة الخلفاء الراشدين، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة عين شمس، ج مصر .

1. darfikir.com

2. Islamstory.com

3. Ahlalhadeeth.com